Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحسنت للمنصف الميل ومتى استحكمت ورسخت صورت لك الشيء بغير صورته وحالت بينك وبين تأمله وتخطت بك الاحسان الظاهر إلى العيب الغامض . وما ملكت العصبية قلباً فتركت فيه للتثبت موضعاً أو أبقت منه للانصاف نصيباً » . (١)

وكان هذا ديدنه في كتابه وموقفه من المتنبي وخصومه والشعراء الآخرين . ومن أوضح مواقفه إنصافه للمتنبي ورأيه في القدماء والمحدثين ، فهو لم يتعصب على أحد أوينكر فضل أحد وقد أنصف المحدثين من غير أن يبخس القدماء حقهم . قال موضحاً اتجاهه : « وليس يجب إذا رأيتني أمدح مُحْدَثاً أو أذكر محاسن حضري أنْ تظن بي الانحراف عن متقدم أو تنسبني إلى الغض من بدوي بل يجب أن تنظر مغزاي فيه أو تكشف عن مقصدي منه ثم تحكم علي حكم المنصف المتثبت وتقضي قضاء المقسط المتوقف » . (٢) ومما يظهر هذه النزعة بوضوح موقفه من الشعراء القدماء والمحدثين فهو يقف عند شعر أبي تمام مشيراً إلى ما فيه من جودة وروعة ثم ينتقل إلى شعر البحتري واصفاً ما فيه من رقة وعذوبة . وهو في الحالتين معجب بالجيد المطبوع الذي لا يفقده التكلف ماءه ورونقه ويحيله ألفاظاً لا رواء فيها ، وكثيراً ما يشير إلى موقف بعض النقاد الذين لا يرون للحديث قيمة ونفعاً ، وليس الأمر كما ذهبوا إليه وإنما الفضل للجيد الرائع حيثما كان وفي أي عهد ظهر . قال متحدثاً عن موقف القدماء من الشعر المحدث : « وما أكثر من ترى وتسمع من حفاظ اللغة ومن جلة الرواة من يلهج ويعيب المتأخرين ، فإن أحدهم ينشد البيت فيستحسنه ويستجيده ويعجب منه ويختاره فإذا نسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه ونقض قوله ورأى تلك الغضاضة أهون محملاً وأقل مرزأة من تسليم فضيلة لمحدث والإقرار بالإحسان لمولد » . (٣)

وكان موقفه من هذه المسألة طريقاً سار فيه للدفاع عن المتنبي فهو يرى أنه

(١) الوساطة ص ٤١٤ .
(٢) الوساطة ص ١٥ .
(٣) الوساطة ص ٥٠ .